جعله يتجه الى الشعر الخطابي ويستغرق فيه، وهو لا يزال في اوائل الطريق، فاخشوشنت اوتار حنجرة العندليب وارتفعت درجة صوته وعلت نبرته. وزاده دفعا في هذا الاتجاه ما فرضته طبيعة عمله في اذاعة دمشق بعد النكبة، من الاشراف على برامج لغوية فرضت عليه قراءات خاصة ظلت تشده الى القديم، وتخضعه للتقاليد، وتدفع به عن مشاهد التجديد حتى غابت عنه هذه المشاهد الى حد نكرانه اياها. ولا يعني ذلك أن حسن البحيري فقد طاقاته الفنية، وهي طاقات خصبة بدت واعدة وعلى كثير من النضج مع بدايات تفتحه الشعري، ولكننا نقول انه في ظروفه التي مر بها، فقد فرضت هذه الظروف ألا تتفتح ازاهير شجرة الفن لديه في تطور وبالتدريج، مع انداء كل فجر من أيام الشعر العربي الحديث. وربما كان ما في نفسيته الخاصة، من اكباره لبعض شعراء الجيل الماضي، وربما صداقاته مع بعضهم، بالاضافة الى ثقافته التراثية، مع ما تلا عام النكبة من ظروف قاسية، حوائل بينه وبين متابعة القراءات الحديثة، الأمر الذي فرض عليه الرضا بأحصنته القديمة محافظا على عافيتها وقوتها بحق، فظل عازفاً عن محاولة ركوب اي حصان من احصنة التجديد، او تغيي هذه الغاية، ومن هنا، فان أكثر ما نشاهده من افراس في حقول شعره في الزمن اللاحق، هي أفراس الشعر الكلاسي الحديث التي تنفث انفاس شعر الاسلاف وتنطق بروحهم، حيث يتجلى ذلك في معجمه الشعري، وفي صياغاته المتينة النسج وفي تراكيبه البيانية الناصعة، وفي معظم اخيلته وتشبيهاته واستعاراته حتى ليصل به الأمر حد نظم «الوجوبيات» (وجوب ما لا يجب)* على غرار «اللزوميات» (لزوم ما لا يلزم) للمعري، أبي العلاء.

ويمتلك حسن البحيري ثروة كبيرة من الشعر، كان بعضه منظوما منذ سنة ١٩٤٤، وكان يعده او يعد بعضه ليكون ديوان «ظلال الجمال»** الذي لم يكتب له بعدُ ان ينشر، وتراكمت على مادة هذا الديوان مادة شعرية ضخمة، طوال الفترة اللاحقة للنكبة، ويبدو ان الشاعر كان ينشط كثيرا في النظم في بعض الأحيان، ولكنه، لظروف عديدة، ظل ملاصقاً خطأه في عدم نشر اي شيء من هذا الشعر؛ قانعا بما يشبه ان يكون انطواء على الذات داخل عزلة ضربها حول نفسه، إلا ما كان، في الغالب من نشاطه في مجال عمله الاذاعي في دمشق، حتى كانت سنة ١٩٧٣، فقد تمطى شاعر حيفا، واطل، بعد غيبة طويلة بسحنته الفلسطينية من خلال ديوانه «حيفا في سواد العيون» ومما يذكر، بخصوص هذا الديوان، انه طبع على نفقة صاحبه الذي يحتفظ في بيته بالاف النسخ منه بسبب عدم توزيعه؛ وهو، لعزة نفسه، يتحرج من عرضه على من يمكنهم توزيعه وتسويقه.

ويبدو أن الشاعر، في هذه المرحلة من حياته، وفي محاولة للتكفير عن خطئه في مراكمة ثروته الشعرية دون نشر، يحاول ان يخرج على الناس وأن يثري «متحفه الفلسطيني» في بيته، فتراه، وله الحق، متلهفا في السنوات الأخيرة على نشر نتاجه، والتعريف به؛ فبعد ديوانه «حيفا في سواد العيون» يطبع على نفقته، بالرغم من امكاناته

---

* ديوان مخطوط لدى الشاعر سنعمل على دراسته في بحث آخر.

** أنظر الصفحة الأخيرة من ديوانه الثالث «ابتسام الضحى»، حيث أشار إلى أن هذا الديوان: «ظلال الجمال» كان تحت الطبع آنذاك.